وقف مركز مكة العالمي للهدى القرآني
جمعية القلم للدراسات والأبحاث
مؤتمر
هدايات القرآن في بناء الإنسان

عنوان البحث:

إعلاء القيم الأسرية من خلال هدايات سورة الإسراء

اسم الباحث/ـة

د/ فاطمة أحمد عباس البدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد بعث الله عز وجل نبيه محمد ﷺ للناس كافة يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وحده لا شريك له، وأنزل عليه القرآن الكريم هدى للناس، يخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإسلام.

وقد احتوى هذا الكتاب العزيز على جملة من الآداب والأخلاق والقيم هي بمثابة المنهج الذي ينبغي للفرد المسلم السير عليه ليكون نبراساً يضيء له عتمة الجهل ويرشده إلى ما يهديه ويسعده في دنياه وآخرته.

ويتناول هذا البحث (**إعلاء القيم الأسرية من خلال هدايات سورة الإسراء**) قضية العلاقات الأسرية وإعلاء شأنها من خلال آيات من سورة الإسراء، وهي وقفة نستنبط منها أهم الهدايات القرآنية الواردة فيها.

وهو بحث أشارك به في مؤتمر (**هدايات القرآن في بناء الإنسان**) من خلال المحور الثالث (**هدايات القرآن الكريم وأثرها في الرقي الأخلاقي وبناء القيم الإنسانية**) والذي يُنظمه مركز مكة العالمي للهدى القرآني بمكة المكرمة.

ويهدف البحث إلى بيان العلاقات الأسرية في سورة الإسراء من خلال علاقة الأبناء بآبائهم وعلاقة الآباء بأبنائهم، وعلاقة الفرد المسلم بمجتمعه والبيئة المحيطة به.

كما يهدف إلى إبراز القيم الأخلاقية العالية للأسرة المسلمة وبيان الترابط بين أفرادها من خلال الهدايات القرآنية.

وسأعتمد في هذا البحث (المنهج الاستقرائي الاستنباطي)، وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية المتعلقة بالعلاقات الأسرية في سورة الإسراء واستنباط الهدايات القرآنية منها.

ومن المتوقع أن يُظهر البحث جوانب البلاغة والإعجاز والبيان في الآيات القرآنية، وتوظيف ذلك في خدمة الهدايات القرآنية.

بالإضافة إلى ربط الهدايات القرآنية المستنبطة بواقع الأمة الحالي وبيان كيف أنّ الإسلام رفع من شأن الأسرة المسلمة من خلال القيم الأخلاقية وتوطيد أواصر المحبة والاحترام بين أفرادها.

واشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد، وثلاث مباحث، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

-القيم الأسرية (القيم – الأسرة)

-الهدايات القرآنية (الهدايات – الهدايات القرآنية).

-أهمية القيم في حياة الأسرة.

المبحث الثاني: مدخل إلى سورة الإسراء:

اسم السورة وعدد آياتها وفضلها وأحوال نزولها.

مقاصد السورة العامة.

المبحث الثالث: القيم الأسرية في سورة الإسراء والهدايات المستنبطة منها

الخاتمة.

والله أسأل التوفيق والسداد..

﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود]

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث:

قبل البدء بالحديث عن القيم الأسرية في الإسلام وأهميتها في حياة الفرد المسلم والمجتمع، لابد لنا من الحديث عن معنى القيم والأسرة في اللغة، ومعنى الهدايات القرآنية.

-معنى القيم في اللغة:

القيم: جمع قيمة، والقِيَمةُ: واحدة القِيَمِ؛ وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قَوَّمْتُ السلعة. والاسْتِقامَةُ: الاعتدالُ. يقال: اسْتَقامَ له الأمر. وقوله تعالى: فاسْتقيموا إليهِ أي في التوجُّه إليه دون الآلهة. وقَوَّمْتُ الشيء فهو قَويمٌ، أي مُستَقيمٌ(١).

والقِيمة: ثَمَنُ الشَّيْءِ بالتَّقْوِيم. تَقُولُ: تَقَاوَمُوه فِيمَا بَيْنَهُمْ(٢).

ومن معاني القيمة: الثبوت على الأمر والتمسك به، (وكل مَنْ ثَبَتَ عَلَى شَيْءٍ وَتَمَسَّكَ بِهِ فَهُوَ قَائِم عَلَيْهِ، قالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران]،

ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام :١٦١]،فقوله: دِيناً قِيَماً أي: ثابتا مُقَوّماً لأمور معاشهم ومعادهم(٣).فتبين لنا أنّ القيم تعني الثبات على الشيء والاستقامة.

-معنى الأسرة في اللغة:

(**أَسَرَ**) الْهَمْزَةُ وَالسِّينُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَقِيَاسٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ الْحَبْسُ، وَهُوَ الْإِمْسَاكُ. مِنْ ذَلِكَ الْأَسِيرُ، وَكَانُوا يَشُدُّونَهُ بِالْقِدِّ وَهُوَ الْإِسَارُ، وَأُسْرَةُ الرَّجُلِ رَهْطُهُ، لِأَنَّهُ يَتَقَوَّى بِهِمْ(٤).والأسرة عشيرة الرجل وأهل بيته(٥).

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، (١٦/٥).
(٢) لسان العرب، ابن منظور، (١٢/ ٥٠٠).
(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (٦٩١).
(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس (١/ ١٠٧).
(٥) لسان العرب، ابن منظور، (٢٠/٤).

والأسرة في مصطلح علم الاجتماع: هي الوحدة الاجتماعية الأولى والتي تكون فيها العلاقات مباشرة وبداخلها يتم تنشئة الفرد اجتماعياً ويكون قادراً على اكتساب مهاراته وعواطفه وميوله، وفيها يجد أمنه وسكنه(١).

والأسرة أيضاً هي مصدر الأخلاق وأساس وجود المجتمع، ودعامة ضبط السلوك والإطار الذي يتلقى فيه الإنسان أول دروس الحياة الاجتماعية (٢).

-معنى القيم الأسرية:

جاء الإسلام بنظم وقوانين وتشريعات تلائم الفطرة الإنسانية السوية وتضمن الحقوق والواجبات وتحصن أفراد المجتمع ضد الأفكار الغربية الدخيلة. ومن أهم مقاصد الشريعة الإسلامية حفظ النفس وحماية الأسرة وأفرادها، من خلال ماورد في الكتاب والسنة، أمرنا باتباع أوامره والبعد عن نواهيها.

هذه الأوامر والنواهي هي بمثابة القيم والآداب والأخلاق والمنهج الذي يجب على أفراد الأسرة المسلمة السير على نهجه والاحتماء به، فهو بمثابة الحصن الحصين والخطة التي يسيرون عليها، لتضمن السلامة والاستمرار والاستقرار النفسي لكل أفراد الأسرة.

فكل فرد من أفراد الأسرة يعرف ماله وما عليه بدون ضياع للحقوق، كل ذلك في تآلف تام مع تعميق لأواصر المحبة والمودة والاحترام والتقدير فيما بينهم.

معنى الهدايات القرآنية في اللغة والاصطلاح:

-تعريف الهدايات لغةً:

الهُدى، بضمِ الهاءِ وفتحِ الدالِ: الرَّشَادُ، والدَّلالةُ، وهو ضد الضلال ويُذَكَّرُ، يُقال: هَداهُ هُدًى وهَدْياً وهِدَايَةً وهِدْيَةً، بكسرهما: أرْشَدَهُ، فهدى واهتدى(٣). وخصّ ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت، نحو: أهديت الهديّة،

(١) من أسس التربية الإسلامية، عمر الشيباني، (ص٤٩٧).

(٢) الزواج والعلاقات الأسرية، د.سناء الخولي، (ص٣٢).

(٣) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، (١٣٤٥/١). والمحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي، (٣٧٠/٤)

وهديت إلى البيت[1]، قال ابن قتيبة: أصل هدى أرشد، كقوله: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾[القصص] ثم يصير الإرشاد بمعانٍ، منها:

-البيان كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾[فصلت:١٧] أي بيّنا لهم

ومنها **إرشاد بالدعاء**: كقوله: ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾[الرعد] أي نبيّ يدعوهم.

-إرشاد بالإلهام: كقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ [طه] أي صورته من الإناث، ثم هدى: أي ألهمه إتيان الأنثى، ويقال: طلب المرعى وتوقّى المهالك، ومنها **إرشاد بالإمضاء**: كقوله: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢﴾ [يوسف] أي لا يمضيه ولا ينفذه، ويقال: لا يصلحه[2].

معنى الهدايات القرآنية في اصطلاح العلماء:

هي الدلالة المبينة لإرشادات القرآن الكريم التي توصل لكل خير وتمنع من كل شر[3].

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص٨٣٩).

(٢) تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ص٢٤٨).

(٣) الهدايات القرآنية دراسة تأصيلية، طه عابدين حمد، (١/٤٤).

المبحث الثاني: مدخل إلى سورة الإسراء:

اسم السورة وعدد آياتها:

سورة الإسراء مكية وآياتها إحدى عشرة ومائة، وتسمى سورة بني إسرائيل[١] وعَن أم المؤمنين عَائِشَة رضي الله عنها قَالَت: كَانَ رَسُول الله ﷺ يقْرَأ كل لَيْلَة بني إِسْرَائِيل وَالزمر»[٢].

فضلها:

أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال في بني إسرائيل-أي هذه السورة-والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: "هن من العتاق الأوّل، وهن من تلادي"[٣].فهي مشتركة في قدم النزول، وكونها مكيات، واشتمالها على القصص[٤].

وتميزت سورة الإسراء بأنها السورة الوحيدة التي وردت فيها الإشارة إلى قصة الإسراء والمعراج من خلال افتتاحية السورة ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ وهي من المعجزات الكبرى الدالة على صدق الوحي وصدق النبي محمد ﷺ.

أحوال نزول السورة:

نزول هذه السورة الكريمة: أو نزول معظمها، كان في أعقاب حادث الإسراء والمعراج؛ وذلك لأن السورة تحدثت عن هذا الحدث، كما تحدثت عن شخصية الرسول ﷺ حديثا مستفيضا، وحكت إيذاء المشركين له، وتطاولهم عليه، وتعنتهم معه، كمطالبتهم إياه بأن يفجر لهم من الأرض ينبوعاً.

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي، (٣/ ٩٣) . الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (١٨١/٥). أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، (٢٤٧/٣).

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (٥/ ١٨١). المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، (٢/ ٤٧٢).

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، (ح٤٤٣١) (١٧٤١/٤).

(٤)تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، جلال الدين السيوطي، (ص١٣).

وقد ردت السورة الكريمة على كل ذلك، بما يسلى الرسول ﷺ

ويثبته، ويرفع منزلته، ويعلى قدره في تلك الفترة الحرجة من حياته ﷺ وهي الفترة التي أعقبت موت زوجه السيدة خديجة- رضى الله عنها- وموت عمه أبي طالب(١).

ومن مقاصد سورة الإسراء العامة:

ذكرنا سابقاً أن سورة الإسراء من السور المكية والتي من أهم خصائصها الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وحده وعدم الشرك به.

حيث جاء التأكيد له في أكثر من آية في السورة المباركة، قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ٢٢﴾ ففي الآية النهي عن اتخاذ الشريك فإنّ عاقبته الندامة والخذلان، (لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكا فتقعد مذموما أي على إشراكك به مخذولا لأن الرب تعالى لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرا ولا نفعا؛لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له)(٢).ثم الآية التي بعدها والتي جاء الأمر بعبادته سبحانه وحده لاشريك له ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الآية: ٢٣] قَضى رَبُّكَ أي حكم وألزم وأوجب، أو أمر(٣).

وتضمنت السورة أيضاً الحديث عن المعجزة الكبرى للنبي ﷺ وهي القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهو كتاب هداية وإرشاد أنزله الله عز وجل على رسوله محمد ﷺ لهداية العباد وإخراجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ٩﴾ [الإسراء]، فالقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم وأعدل وأعلى من

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٢٧٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٥٩).
(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، (١/ ٤٤٤).

العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره) [١].

والقرآن الكريم معجزة الله الخالدة، أعجز الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بسورة أو بآية منه، ووقفوا حائرين أمام هذا الكتاب المعجز، مُعجز بمعانيه وألفاظه وحروفه وكلماته، ومُعجز بتشريعاته وما تضمنها من عقائد وعبادات ومعاملات، ومُعجز كذلك بأوامره ونواهيه، وبطريقة عرضه للقصص وضربه للأمثال، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾.

والقرآن الكريم مُعجز بهداياته التي هي أساس دعوة القرآن الكريم

وأصل أصوله ومنها تفرعت جميع آدابه وشرائعه، وبها قامت أركان علومه ومعارفه، وعلى دعائمها نهضت حِكمه وأحكامه، فيها نزل وإليها قصد، وهي الهدى الذي أنزله الله تعالى به ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الإسراء،] [٢].

- بيان دعوة النبي ﷺ وبيان مجادلة المشركين له ومحاججته لهم بالبرهان والأدلة.

- وختمت السورة بتنزيه الله عز وجل عن الشريك والولد، والناصر والمعين، واتصاف الله تعالى بالأسماء الحسنى التي أرشدنا إلى الدعاء بها[٣].

- كما وضعت هذه السورة أصول الحياة الاجتماعية القائمة على مكارم الأخلاق والجملة من الفضائل والآدب التي ينبغي للأسرة المسلمة التحلي بها، **والتي سنتحدث عنها في المبحث القادم.**

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص٤٥٤).

(٢) القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، الصادق عرجون، (ص١٤٧).

(٣) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٥/ ٥).

المبحث الثالث: القيم الأسرية في سورة الإسراء والهدايات المستنبطة منها

تضمنت سورة الأسراء عدداً من القيم الإنسانية والآداب الاجتماعية ومكارم الأخلاق التي تؤسس الحياة القويمة للأسرة المسلمة، وتحميها من الأفكار الخاطئة الدخيلة الهدامة، من هذه القيم بر الوالدين وإعطاء ذوي القربى واليتامى والمسكين وابن السبيل حقوقهم، وعدم قتل النفس التي حرم الله إلى بالحق وتحريم الزنا، والوفاء بالعهد والعدل في الكيل والميزان.

وهذه الآيات الكريمات نستنبط منها أهم الهدايات التي تُبيّن هذه القيم الأسرية وتهدي إليها وتُعلي من شأنها.

بر الوالدين والإحسان إليهما:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ .

- فيها الأمر بعبادته سبحانه وتعالى وحده، وجعل بر الوالدين مقروناً بذلك، كما قرن شكرهما بشكره.(١)

- وعن عبد الله قال: سألت النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله عز وجل؟ قال:" الصلاة على وقتها" قال: ثم أي؟ قال:" ثم بر الوالدين" قال ثم أي؟ قال:" الجهاد في سبيل الله"(٢).

- تُفيد أنّ حق الله سبحانه وتعالى مقدم على حق الأبوين(٣).

- فيها بيان أصل الصلاح، حيث ابتدأ التشريع بالنهي عن عبادة غير الله تعالى؛ لأن إصلاح التفكير مقدم على إصلاح العمل، إذ لا يشاق العقل إلى طلب الصالحات إلا إذا كان صالحا(٤).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٣٨).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الأدب، باب البر والصلة، ح٥٦٢٥، (٢٢٢٧/٥).

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٣٢٦/٢٠).

(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٦٧).

- فيها عظيم بر الوالدين، حيث ارتبط النهي عن الشرك بالله تعالى بالإحسان إلى الوالدين(١)، فيقول سبحانه وتعالى مثلا: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. . .)، وقوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا. . .)»

- فيها وَعَطْفُ الْأَمْرِ بِالْإِحْسَانِ إِلَى الْوَالِدَيْنِ عَلَى مَا هُوَ فِي مَعْنَى الْأَمْرِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ فَاسْتَحَقَّ الْعِبَادَةَ لِأَنَّهُ أَوْجَدَ النَّاسَ. وَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْأَبَوَيْنِ مَظْهَرَ إِيجَادِ النَّاسِ أَمَرَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، فَالْخَالِقُ مُسْتَحِقُّ الْعِبَادَةِ لِغِنَاهُ عَنِ الْإِحْسَانِ، وَلِأَنَّهَا أَعْظَمُ الشُّكْرِ عَلَى أَعْظَمِ مِنَّةٍ، وَسَبَبُ الْوُجُودِ دُونَ ذَلِكَ فَهُوَ يَسْتَحِقُّ الْإِحْسَانَ لَا الْعِبَادَةَ لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَى الْإِحْسَانِ دُونَ الْعِبَادَةِ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ بِمُوجِدٍ حَقِيقِيٍّ، وَلِأَنَّ اللَّهَ جَبَلَ الْوَالِدَيْنِ عَلَى الشَّفَقَةِ عَلَى وَلَدِهِمَا، فَأَمَرَ الْوَلَدَ بِمُجَازَاةِ ذَلِكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى أَبَوَيْهِ كَمَا سَيَأْتِي وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كَما رَبَّيانِي صَغِيراً(٢).

- أفاد تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) لمزيد الاهتمام بهما ولإثبات أنهما أولى من دون الناس بالإحسان، فلا يكون الرجل كريماً مفاخرا بالعطاء بين الناس، ولا يحسن إلى أبويه(٣).

- تضمنت المبالغة في إكرام الوالدين وبرهما وأشار بالنهي عن ذكر(أف) إلى تحريم ما فوقه بطريق الأولى وفيها النهي عن نهرهما والأمر بالقول الكريم لهما(٤).

- فيها أنّ الإحسان إلى الوالدين هو الشكر، لا ما ذكرنا من الإحسان المعروف عند الناس، وهو ما ذكر في آية أخرى: (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ)، لأن الشكر هو المكافأة والجزاء لما أنعم وصنع من المعروف(٥).

---

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦١)، بتصرف.
(٢) التحرير والتنوير، الطاهرابن عاشور، (١٥/ ٦٨).
(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦١).
(٤) الإكليل في استنباط التنزيل، جلال الدين السيوطي، (ص١٦٦).
(٥) تفسير الماتريدي، الماتريدي، (٧/ ٢٧).

- (كما ربياني صغيراً): فيها إشارة إلى التواضع وتذكر الحالة التي كان عليها الولد في صغره واحتياجه لوالديه في كل شؤون حياته.

- الفعل(ربياني): يشير إلى الأصل في أن تربية الولد يقوم عليها الوالدين، لذلك ذكر الفعل بالتثنية، وأنه قد يربيه أحدهما في حالة الفقد.

- فيها أهمية التربية والتنشئة منذ الصغر، وفي ذلك دعوة للوالدين إلى الاهتمام بأولادهم وهو من حقوق الأبناء على الآباء.

- فيها أن الجزاء من جنس العمل، فكما ربى الآباء الأبناء حال كونهم صغاراً، فيجب على الأبناء مقابلة ذلك بالبر وحسن الطاعة والمعاملة.

- فيها عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في الخلق والإيجاد.

- فيها بيان خلق الله لإنسان وأنّ الإنسان يمر في حياته بمراحل تتدرج من الصغر وحتى الكبر، يحتاج فيها إلى الرعاية، والعناية والاهتمام والتوجيه.

- فيها إشارة إلى ضعف النفس البشرية وأنها تحتاج إلى الرعاية في صغرها وكبرها.

- وفيها إشارة إلى تعظيم الله عز وجل وتنزيهه مما يعتري البشر.

- فيها إشارة إلى بشرية الرسول ﷺ ، حيث إنه يعرض له ما يعرض لبقية البشر من الضعف الاحتياج.

- وَالْخِطَابُ لِغَيْرِ مُعَيَّنٍ فَيَعُمُّ كُلَّ مُخَاطَبٍ بِقَرِينَةِ الْعَطْفِ عَلَى أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَلَيْسَ خطابا للنبي ﷺ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَبَوَانِ يَوْمَئِذٍ(١).

- فيها الاهتمام بحالة الوالدين واحتياجهما، يقول ابن عاشور رحمه الله:

(وَوَجْهُ تَعَدُّدِ فَاعِلِ يَبْلُغَنَّ مَظْهَرًا دُونَ جَعْلِهِ بِضَمِيرِ التَّثْنِيَةِ بِأَنْ يُقَالَ إِمَّا يَبْلُغَانِّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ، الِاهْتِمَامُ بِتَخْصِيصِ كُلِّ حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِ الْوَالِدَيْنِ بِالذِّكْرِ، وَلَمْ يَسْتَغْنِ بِإِحْدَى الْحَالَتَيْنِ عَنِ الْأُخْرَى لِأَنَّ لِكُلِّ حَالَةٍ بَوَاعِثَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي وَاجِبِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمَا، فَقَدْ تَكُونُ حَالَةُ اجْتِمَاعِهِمَا عِنْدَ الِابْنِ تَسْتَوْجِبُ الِاحْتِمَالَ مِنْهُمَا لِأَجْلِ مُرَاعَاةِ أَحَدِهِمَا الَّذِي الِابْنُ أَشَدُّ حُبًّا لَهُ دُونَ مَا لَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا مُنْفَرِدًا عِنْدَهُ بِدُونِ الْآخَرِ الَّذِي مَيْلُهُ إِلَيْهِ أَشَدُّ، فَالِاحْتِيَاجُ إِلَى ذِكْرِ

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (١٥/ ٦٨).

أَحَدِهِمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى وُجُوبِ الْمُحَافَظَةِ عَلَى الْإِحْسَانِ لَهُ. وَقَدْ تَكُونُ حَالَةُ انْفِرَادِ أَحَدِ الْأَبَوَيْنِ عِنْدَ الِابْنِ أَخَفَّ كُلْفَةً عَلَيْهِ مِنْ حَالَةِ اجْتِمَاعِهِمَا، فَالِاحْتِيَاجُ إِلَى أَوْ كِلاهُما فِي هَذِهِ الصُّورَةِ لِلتَّحْذِيرِ مِنِ اعْتِذَارِ الِابْنِ لِنَفْسِهِ عَنِ التَّقْصِيرِ بِأَنَّ حَالَةَ اجْتِمَاعِ الْأَبَوَيْنِ أَحْرَجُ عَلَيْهِ، فَلِأَجْلِ ذَلِكَ ذُكِرَتِ الْحَالَتَانِ وَأُجْرِيَ الْحُكْمُ عَلَيْهِمَا عَلَى السَّوَاءِ، فَكَانَتْ جُمْلَةُ فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ بِتَمَامِهَا جَوَابًا لِ (إِمَّا)) [1].

-لا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد[2]، قال الله تعالى﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ﴾ [الممتحنة، ٨].

- قوله تعالى: (عِندَكَ) تفيد علاقة الولد بوالديه، فهما لجآ إليه لضعفهما ولشيخوختهما يعيشان في كنفه وظل قوته، ونعمته يرعاهما، ولا ظل لهما غير ظله، وقد تكون هذه الحياة المستمرة، مع ضعف الشيخوخة، واستقذار بعض ما يكون منهما أو من أحدهما داعيا لبعض الضجر، فتتفلت منه عبارة تضجر أو تأفف، فنهاه سبحانه وتعالى عن مثل هذا[3].

- فيها تخصيص حالة الكبر دون غيرها من الحالات؛ لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، حيث صارا كَلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر [4].

- فيها النهي عن التذمر والضجر في وجه الأبوين، من خلال كلمة (أف)، وليس المقصود من النهي عن أن يقول لهما أف خاصة، وإنما المقصود النهي

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (١٥/ ٦٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٣٩)
(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٢).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٤١)، بتصرف.

عن الأذى الذي أقله الأذى باللسان بأوجز كلمة، وبأنها غير دالة على أكثر من حصول الضجر لقائلها دون شتم أو ذم، فيفهم منه النهي مما هو أشد أذى بطريق فحوى الخطاب بالأولى(١).

- وأيضاً فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة ويحصل الملل ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه وتنتفخ لهما أوداجه، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر. وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب (٢).

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:" إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ). قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: "يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ فيسب أمه"(٣).

- تُفيد التأكيد على بر الوالدين في حالة الكبر حيث يحتاجان بشدة للرعاية والعناية.

قوله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ٢٤﴾

-فيها بيان المناسبة بين الأمر بعبادة الله تعالى وبين الأمر ببر الوالدين، فالسبب الحقيقي لوجود الإنسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده، والسبب الظاهري هو الأبوان، فأمر بتعظيم السبب الحقيقي، ثم أتبعه بالأمر بتعظيم السبب الظاهري(٤).

-فيها استعارة الجناح للتعبير عن الإحاطة والرعاية، وشبهت هذه المعاني بالجناح الذي يكون به قوة الطائر، وإضافة الذل إليه لتكون الرعاية ذلا لهما

(١) التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، (١٥/٧٠)، بتصرف.
(٢) المصدر السابق، (١٠/ ٢٤١).
(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الأدب، باب لايسب الرجل والديه، ح٥٦٢٨، (٥/٢٢٢٨).
(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢١).

وتواضعاً من غير استكبار، وإن ذلك التضامن والانكسار من الرحمة لَا من الذلة، وكان خفض جناح من ذل لا من الذلة، بل من الرحمة، وفرق بين ذل الرحمة، فهو عطف ورفق ، وذل المذلة، فهو ذل خنوع وضعف من غير قوة، وإن هذا التعبير أعلى ما يمكن من تعبير العطف والرحمة، ولكنه كلام الرحمن الرحيم(١).

-فيها التأكيد على المبالغة في التواضع للوالدين ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ وذكر القفال رحمه الله في تقريره وجهين: الأول: أن الطائر إذا أراد ضم فرخه إليه للتربية خفض له جناحه، ولهذا السبب صار خفض الجناح كناية عن حسن التربية، فكأنه قال للولد: اكفل والديك بأن تضمهما إلى نفسك كما فعلا ذلك بك حال صغرك. والثاني: أن الطائر إذا أراد الطيران والارتفاع نشر جناحه وإذا أراد ترك الطيران وترك الارتفاع خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع من هذا الوجه(٢).

-تفيد أنّ هذا التذلل للوالدين ناشئ عن الرحمة لا عن الخوف أو عن المداهنة، والمقصود اعتياد النفس على التخلق بالرحمة باستحضار وجوب معاملته إياهما بها حتى يصير له خلقاً(٣).

-«قوله تعالى (كما ربياني) خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتبعهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقاً لهما وحناناً عليهما(٤).

- تُفيد تعظيم بر الوالدين والمبالغة في ذلك من خلال تنكير كلمة إحساناً، إحساناً، والمعنى: وقضى ربك أن
تحسنوا إلى الوالدين إحساناً عظيماً كاملاً(٥).

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٣)، بتصرف.
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٦).
(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٧١).
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٤٤).
(٥) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٣)، بتصرف.

(إما يبلغن) أفاد التأكيد في معنى الاشتراط، فهذا الحكم المتقرر المتأكد إما أن يقع وإما أن لا يقع والله أعلم[١].

-فيها سبب ذكر كلمة (أف) بناء على أن التأفيف عندهم أقل شيء يعق به الأب، وذلك حائد عن سنن البيان ووجه الحكمة، لأنه ليس في العقوق شيء أشد من التأفيف لأنه إنما يقال للمستقذر المسترذل[٢].

-يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما معناه: أنهما يبلغان إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر[٣].

- (قولاً كريماً): تُفيد مناداتهما بأحب الأسماء والألقاب إليهما مخاطبتهما باللين من القول مع البشاشة والكلام الطيب وعدم مقاطعتهما عند الحديث، وإظهار البهجة.

-فيها الدعاء للوالدين بالرحمة، قال القفال رحمه الله تعالى: إنه لم يقتصر في تعليم البر بالوالدين على تعليم الأقوال،

بل أضاف إليه تعليم الأفعال وهو أن يدعو لهما بالرحمة فيقول:

رب ارحمهما ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا. ثم يقول: كما ربياني صغيراً يعين رب افعل بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسنا إلي في تربيتهما إياي[٤].

-فيها النهي عن معاملة الوالدين بالقول والفعل السيئ، فلا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ولا تنهرهما أي ولا يصدر منك إليهما[٥].

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٣).
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤٠٢).
(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٤).
(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٧).
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٦٠).

– (ولا تنهرهما) فيها المنع من إظهار المخالفة في القول على سبيل الرد عليه والتكذيب له[١].

–فيها الأمر بالدعاء لهما برحمة الله إياهما وهي الرحمة التي لا يستطيع الولد إيصالها إلى أبويه إلا بالابتهال إلى الله تعالى[٢].

–يُفيد قوله تعالى: (ارحمهما) أنّ مقصد الإسلام من الأمر ببر الوالدين وبصلة الرحم ينحل إلى مقصدين:

أحدهما: نفساني وهو تربية نفوس الأمة على الاعتراف بالجميل لصانعه، وهو الشكر، تخلقاً بأخلاق الباري تعالى

في اسمه الشكور، فكما أمر بشكر الله على نعمة الخلق والرزق أمر بشكر الوالدين على نعمة الإيجاد الصوري ونعمة التربية والرحمة. وفي الأمر بشكر الفضائل تنويه بها وتنبيه على المنافسة في إسدائها.

والمقصد الثاني: عمراني، وهو أن تكون أواصر العائلة قوية العرى مشدودة الوثوق فأمر بما يحقق ذلك الوثوق بين أفراد العائلة،

وهو حسن المعاشرة ليربي في نفوسهم من التحاب والتواد ما يقوم مقام عاطفة الأمومة الغريزية في الأم، ثم عاطفة الأبوة المنبعثة عن إحساس بعضه[٣].

قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾﴾

–فيها تصدير الكلام بقوله: (رَبُّكُمْ) للدلالة على علمه الدقيق، لأنه هو الذي خلق وأبدع، وربى ونمى[٤].

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٦).
(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٧٢).
(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٧٣).
(٤) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٥).

-فيها علم الله الواسع والمطلق والمحيط، فهو عالم بما في النفوس (مِن تعظيمِكم أمرَ آبائِكم وأمهاتِكم، وتَكرِمَتِهم،

والبرِّ بهم، وما فيها من اعتقادِ الاستخفافِ بحقوقِهم، والعقوقِ لهم، وغيرِ ذلك مِن ضمائرِ صدورِكم، لا يخفى عليه شيءٌ مِن ذلك، وهو مُجازيكم على حَسَنِ ذلك وسيِّئِه، فاحذروا أن تُضمِروا لهم سوءًا، [وتعقِدوا] لهم عقوقًا)(١).

- (ربكم أعلم) تُفيد أنّ بر الأبوين أمر مستتر خفي يظهر في العمل، فهو إخلاص وفاء وإيمان بالحق، ووفاء وإكرام، وهو دليل على صلاح النفوس(٢).

-تُفيد أنّ الله عزّ وجل هو الخالق المستحق وحده للعبادة، فهو الذي خلق النفس البشرية، فسواها وألهمها فجورها وتقواها، وهو الذي يحول بين المرء وقلبه(٣).

-تُفيد علم الله عزّ وجل الواسع، فلَا مفاضلة بين علمه سبحانه وعلم غيره، فلا يعلم خفي النفوس إلا خالقها، العالم بكل شيء، والمراد من أفعل التفضيل أنه سبحانه عالم بالنفوس علما لَا يصل إليه علم قط(٤).

-فيها حاجة الإنسان إلى الاستقامة والتوبة، فالصلاح: استقامة الفعل على ما يدعو إليه الدليل، وأشار إلى أنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة النفس وترجيعها كرة بعد كرة بقوله تعالى: (فإنه كان للأوابين) أي الرجاعين(٥).

-فيها رقابة خاصة من الله تعالى على معاملة الأبوين؛ لقوله سبحانه: (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِما فِي نُفُوسِكُم) أي من اعتقاد

الرحمة بهما والحنو عليهما، أو من غير ذلك من العقوق، أو من جعل ظاهر برهما رياء(٦).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، (١٤/ ٥٥٥).
(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٤).
(٣) درج الدرر في تفسير الآي والسور، عبدالقاهر الجرجاني، (٣/ ١١٠٢)، بتصرف.
(٤) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٥)، بتصرف.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤٠٤).
(٦) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (٥/ ٦٢).

-فيها الوعد لمن أضمر البرّ. والوعيد لمن أضمر الكراهة والاستثقال والعقوق(١).

-فيها أهمية النية وأنها أصل الأعمال، وأنّ النية الحسنة هي التي تدفع صاحبها للمبادرة للأعمال الصالحة.

-فيها أنّ النية الصالحة سبب للمغفرة وأن الله سبحانه وتعالى يقبل بها الزلّات.

-فيها أنّ ضعف النفس البشرية، حيث يعتريها الوقوع في الخطأ.

-أشار قوله تعالى: (للأوابين) أنّ حب الإنسان لوالديه وتقديره لهما نابع عن فطرته، وأنه حينما يضجر أحياناً ويتأفف فإنّه سرعان مايرجع ويستغفر ربه، فهو سريع الأوبة.

-في الآية وعد ووعيد، وعد لمن أضمر البر ووعيد لغيره(٢)، ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾.

حقوق ذوي القربى والمساكين وابن السبيل:

قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾﴾

- فيها وصية للناس كلهم بصلة قرابتهم، خوطب بذلك النبي ﷺ، والمراد الأمة، وألحق في هذه الآية ما يتعين له من صلة الرحم وسد الخلة(٣).

- فيها دليل على إيجاب نفقة المحارم المحتاجين وإن لم يكونوا أصلا كالوالدين ولا فرعا كالولد(٤).

- في الآية التعميم بعد التخصيص فإن ذا القربى يتناول الوالدين لغة وإن لم يتناوله عرفا فلذا قالوا في باب الوصية المبنية على العرف: لو أوصى لذوي قرابته لا يدخلان(٥).

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤٠٤).

(٢) روح المعاني، الآلوسي، (٨/ ٦١).

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣/ ٤٤٩).

(٤) روح المعاني، الآلوسي، (٨/ ٦١).

(٥) روح المعاني، الآلوسي، (٨/ ٦١).

- فيها الاهتمام بالصدقة على المسكين، وهو من لا يملك شيئا من المال، أو يملك مالاً يسد حاجته، وهذا النوع من الناس في حاجة إلى العناية والرعاية، لأنهم في الغالب يفضلون الاكتفاء بالقليل، على إراقة ماء وجوههم بالسؤال(١).

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: " لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ، تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ: الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ"(٢).

- فيها الأمر بإعطاء ابن السبيل حقه وهو المسافر، وفي ذلك تنبيه إلى أن المسلمين وإن اختلفت أوطانهم ينبغي أن يكونوا في التعاطف والتعاون على متاعب الحياة كالأسرة الواحدة(٣).

- فيها أنّ حق ذوي القربى من غير المحارم هو صلتهم بالمودّة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك(٤).

- فيها أهمية التكافل بين المسلمين، من خلال الإنفاق على ذوي القربى والمسكين وابن السبيل، وفي ذلك تعميق لأواصر المحبة بينهم.

- فيها تقديم – الأقارب على غيرهم، لأنهم أولى بالمعروف، ولأن إعطاءهم إحسان وصلة رحم(٥)، وفي الحديث عن سليمان بن عامر قال: قال رسول الله

(١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣١).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الزكاة، بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} /البقرة: ٢٧٣/. وَكَمْ الْغِنَى. وَقَوْلِ النَّبِيِّ بَاب: قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا} /البقرة: ٢٧٣/. وَكَمْ الْغِنَى. وَقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (وَلَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ): (وَلَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ) ح١٤٠٩،(٥٣٨/٢).

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣٢).

(٤) الكشاف، الزمخشري، (٦٦١/٢).

(٥) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣٢).

ﷺ: " الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الْقَرَابَةِ اثْنَتَانِ: صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ"(١)

- فيها أنّ الأخوة التي تعقد بين المبذرين والشياطين تكون من حيث أن الإسراف يضيع الحقوق، والشياطين يحرضون على ذلك ويرضونه، كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ما من مسرف إلا وراءه حق مضيع(٢).

- فيها ذم التبذير، وقد سئل ابن مسعود رضي الله عنه عن التبذير فقال: إنفاق المال من غير حقه، وعن مجاهد رضي الله عنه: لو أنفق الإنسان ماله كله في الحق ما كان تبذيراً، ولو أنفق مداً في باطل كان تبذيراً(٣).

- فيها النهي عن التبذير، وهو تفريق المال فيما لا ينبغي. وإنفاقه على وجه الإسراف، وكانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة،

وتذكر ذلك في أشعارها، فأمر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرّب منه ويزلف(٤).

- فيها ذم التبذير من خلال وصف المبذر بأنه أخ للشيطان،

وتخصيص هذا الوصف بالذكر. من بين سائر أوصافه القبيحة، للإيذان بأن التبذير، الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مصرفها، من باب الكفران، المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها إلى ما خلقت هي له(٥).

- التبذير كفر للنعمة والشيطان يحث على المعاصي، والمعاصي كلها كفر للنعم، وختم اللَّه سبحانه الآية بقوله: (وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا)، أي أنه كافر بنعمة اللَّه كفرا بلغ فيه أقصاه فلعنه اللَّه(٦).

(١) مسند أحمد، الإمام أحمد، ح ١٦٢٢٨، (١٦٧/٢٦).
(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٧).
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسورن البقاعي، (١١/ ٤٠٥).
(٤) الكشاف، الزمخشري، (٢/ ٦٦١)، بتصرف.
(٥) محاسن التأويل، القاسمي، (٦/ ٤٥٦).
(٦) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٦٨).

- دلت الآية على جواز الإعراض عن المحتاج عند وجود عائق ومانع يمنع، وأنت عند ذلك ترجو من الله سبحانه وتعالى فتح باب الخير لتتوصل به إلى مواساة السائل[١].

- فيها تسمية الرزق رحمة، وفيها تناسب إضافة الرحمة إلى الرب (رحمة من ربك) فهو الرب الخالق الرازق المدبر لشؤون عباده.

- فيها مراعاة حال السائل وأنّه يكون في أمس الحاجة للمعونة، ففي حال عدم القدرة على مساعدتهم فعلينا الحديث معهم بالقول الميسور، والدعاء لهم بالرزق.

- فيها الأمر بالقول اللين تجاه السائل، ووعدهم وعداً جميلاً، رحمةً لهم وتطيباً لقلوبهم، ابتغاء رحمة من ربك، أي: ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم[٢].

- في هذه الآية الأمر بالقول الليّن عند عدم وجود ما يعطى منه[٣].

فيها تعليم الله تعالى لعباده الأدب مع الآخرين، من خلال رد ذوي القربى بلطف ووعدهم وعدا جميلا بالصلة عند اليسر، والاعتذار إليهم بما هو مقبول وفيه تطييب الخاطر، ولا يعرض الشخص عنهم إعراض مستهين، وهو في حال الغنى والقدرة، فيحرمهم حقهم[٤].

- (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها): فيها لطف الله عزّ وجل بعباده، حيث أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه؛ لأن انتظار ذلك عبادة، وكذلك وعدهم بالصدقة والمعروف عند التيسر عبادة حاضرة لأن الهم بفعل الحسنة حسنة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يفعل ما يقدر عليه من الخير وينوي فعل ما لم يقدر عليه ليثاب على ذلك ولعل الله ييسر له[٥].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (١٠/ ٢٤٨)

(٢) الكشاف، الزمخشري، (٢/ ٦٦٢).

(٣) الإكليل، السيوطي، ص١٦٧.

(٤) ا لتفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٥/ ٦٣)، بتصرف يسير.

(٥) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص ١٥٦).

النهي عن التبذير:

قوله تعالى:﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ٣٠﴾

-**قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ﴾ فيه استعارة تمثيلية، مثّل للبخيل الذي حبس يده عن العطاء بمن شدّت يده إلى عنقه، بحيث لا يستطيع مدّها، وشبّه السرف ببسط الكف، حيث لا تمسك شيئاً(١).

-فيها النهي عن الإفراط والتفريط، فالبخل إفراط في الإمساك، والتبذير إفراط في الإنفاق وهما مذمومان، والخلق الفاضل هو العدل والوسط(٢). كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣]

-فيها بيان عاقبة الإسراف، فهو يجعل المسرف في حسرة على ماله الذي أضاعه ويجعله مقطوعاً عما كان له من مال كالمسرف المحسور ويجعله كليلاً متعباً، لأن الله أعطاه رزقا فأضاعه(٣).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا"(٤).

- فيها الأمر بالاقتصاد بين التقتير والإسراف، فلا خير فيهما، فعاقبتهما الحسرة والندامة.

- الله عزّ وجل خبير بعباده، فهو سبحانه يوسع الرزق على البعض ويضيقه على البعض، فهو عالم بأنّ مصلحة كل إنسان في أن لا يعطيه إلا ذلك

(١) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٥/٥٠).

(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٢٩).

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٧٠).

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الزكاة، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى. وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى. فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى) /الليل: ٥ – ١٠ (اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا)، (ح ١٣٧٤)، (٢/٥٢٢).

القدر، فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل، بل لأجل رعاية المصالح(١).

- في الآية إشارة إلى حال العرب التي كانت يصلحها الفقر، وكانت إذا شبعت طغت وقتلت غيرها وأغارت، وإذا كان الجوع والقحط شغلهم (خبيراً بصيراً)(٢).

قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

- فيها النهي عن قتل الأولاد خشية الفقر، «الإملاق» الفقر وعدم الملك، أملق الرجل لم يبق له إلا الملقات وهي

- الحجارة العظام الملس السود(٣).

- فيها إشارة إلى عادة العرب في الجاهلية وهي قتل البنات خوف الفقر والحاجة، وهي عادة قبيحة أبطلها الإسلام.

- فيها ذم العادات القبيحة السيئة التي لاتتقبلها الفطرة السليمة كقتل الأولاد خوفا من الفقر أو العار، لا يمكن أن يصلح شأنه، لأنه مجتمع نفعي تسوده الأثرة والأنانية والتشاؤم والأوهام، لأن أفراده يظنون أن الله عزّ وجل يخلق خلقاً لا يدبر لهم رزقهم، ويعتدون على روح بريئة طاهرة، تخوفاً من فقر أو عار مترقب، وذلك هو الضلال المبين(٤).

-قوله تعالى: (نحن نرزقهم وإياكم) فيه تقديم ضمير الأولاد لكون الإملاق مترقباً من الإنفاق عليهم غير حاصل في حال القتل، بخلاف آية الأنعام فإن سياقها يدل على أن الإملاق حاصل عند القتل، والقتل للعجز عن الإنفاق(٥).

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٣٠).
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣/ ٤٥١).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، (٣/ ٤٥١).
(٤) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣٨).
(٥)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤٠٨).

- فيها التعبير بلفظ (الولد) وهو أدعى إلى الحنو والعطف[١].

- تُفيد أنّ الأرزاق بيد الله تعالى فكما أنه تعالى فتح أبواب الرزق على الرجال، فكذلك يفتح أبواب الرزق على النساء[٢].

- فيها دلالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده، لأنه نهى عن قتل الأولاد كما أوصى الآباء بالأولاد في الميراث، وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات، بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته، فنهى الله تعالى عن ذلك[٣].

- من أعظم كبائر الذنوب لزوال الرحمة من القلب والعقوق العظيم والتجرؤ على قتل الأطفال الذين لم يجر منهم ذنب ولا معصية[٤].

- فيها تأكيد لمقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو حفظ النفس، فالحياة حق لهؤلاء الصغار كما أنها حق لكم، فمن الظلم البين الاعتداء على حقوقهم، والتخلص منهم خوفا من الفقر المتوقع في المستقبل، مع أن الله تعالى هو الرازق لهم ولكم في كل زمان ومكان[٥].

- فيها ذم قتل الأبناء خوف الفقر فهو سوء ظن بالله، وإن كان لأجل الغيرة على البنات، فهو سعي في تخريب العالم، فالأول ضد التعظيم لأمر الله تعالى، والثاني: ضد الشفقة على خلق الله تعالى
وكلاهما مذموم[٦].

- (إِنَّ قَتْلَهُمْ كانَ خِطْأً كَبِيراً) تعليل آخر للنهى عن قتل الأولاد جيء به على سبيل التأكيد، حيث إنّ قتلهم يُعد إثماً كبيراً فاحشاً يؤدى إلى التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة[٧].

---

(١) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، مجموعة مؤلفين، (٤/٢٣٦).
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٣١).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٦٦).
(٤) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص ١٥٦).
(٥) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣٧)، بتصرف.
(٦) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٣٠)، بتصرف يسير.

- فيها سوء أدب القاتل مع الله عز وجل وسوء ظنه به؛ لأن الدافع لقتل الأولاد هو خوف الفقر والحاجة، أفلم يعلموا أنه سبحانه تكفل برزق العباد!.

- فيها رحمة الله عزّ وجل بعبادهن حيث كان أرحم بهم من والديهم، فنهى الوالدين أن يقتلوا أولادهم خوفا من الفقر والإملاق وتكفل برزق الجميع[١].

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾.

-فيها مناسبة لآية التي قبلها، حيث عطف هذا النهي على النهي عن وأد البنات إيماء إلى أنهم كانوا يعدون من أعذارهم في وأد البنات الخشية من العار الذي قد يلحق من جراء إهمال البنات الناشئ عن الفقر الرامي بهن في مهاوي العهر، ولأن في الزنى إضاعة نسب النسل بحيث لا يعرف للنسل مرجع يأوي إليه وهو يشبه الوأد في الإضاعة[٢].

- فيها تحريم الزنا وتحريم كل ما يؤدي ويقرب إليه كالنظر والاختلاط، لما فيه من المفاسد العظيمة، حيث وصفه بكونه فاحشة وساء سبيلاً.

- فيها بلاغة القرآن العظيم وأسلوبه البديع في الإيجاز، فقوله تعالى (ولا تقربوا الزنى) أبلغ من قول ولا تزنوا؛ لأنّ لا

تقربوا فيها النهي عن كل ما يُؤدي إلى الزنى.

- قوله تعالى: (إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَساءَ سَبِيلًا): تعليل للنهى عن الاقتراب منه، أي: ابتعدوا عن مقدمات الزنا فضلاً عن الوقوع فيه ذاته؛ لأنه كان- وما زال- في شرع الله، وفي نظر كل عقل سليم فعلة فاحشة ظاهرة القبح وبئس الطريق طريقه، فإنها طريق تؤدى إلى غضب الله- تعالى- وسخطه[٣].

- فيها أنّ فاحشة الزنا ذنب عظيم يوجب غضب الله عزّوجل، كما أنّ طريقها أسوء سبيل.

---

(٧) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٣٨).

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص ١٥٧).

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، (١٥/ ٨٩).

(٣) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٤٠).

- جاءت كلمة (سبيلاً) نكرة لتعم كل السبل المؤدية إلى هذه الفاحشة التي تأباها النفوس السليمة وتشمئز منها.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾

- فيها النهي عن قتل النفس دون وجه حق، وفي الحديث عن النبي ﷺ: " لَزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ" (١).

- فيها دليل على أنّه للولي الوارث سلطة استيفاء القصاص من القاتل وحده دون غيره، بغير تمثيل ولا قتل غير القاتل(٢).

- قوله تعالى: (منصوراً) تعليل للنهي. والضمير للوليّ. يعني: حسبه أن الله قد نصره بأن أوجب له القصاص، فلا يسترد على ذلك(٣).

- في الآية دليل على أن الحق في القتل للولي فلا يقتص إلا بإذنه وإن عفا سقط القصاص، وأن ولي المقتول يعينه الله على القاتل ومن أعانه حتى يتمكن من قتله.(٤)

- فيها أهمية الأسرة وتكافلها وارتباط أفرادها ببعض، فالمقتول حقه لايذهب هباءً كأنّ شيئاً لم يكن، حيث يتولى وليّه أمره ويقتص منه، فإن لم يكن له ولى فالسلطان وليه سُلْطاناً.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾

- فيها لطفه سبحانه وتعالى ورحمته باليتيم الذي فقد والده وهو صغير غير عارف بمصلحة نفسه ولا قائم بها أن أمر أولياءه بحفظه وحفظ ماله وإصلاحه (٥).

- فيها أهمية المال في حياة الإنسان، حيث ينبغي إنفاقه بحكمة وترشيد، ونظر

(١)سنن الترمذي، الإمام الترمذي، (باب ماجاء في تشديد قتل المؤمن، ١٦/٤).
(٢) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٥/ ٧٨).
(٣) محاسن التأويل، القاسمي، (٦/ ٤٥٩).
(٤) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (١٥٧).
(٥) المرجع السابق، (ص ١٥٧).

إلى المصلحة.

- (ولاتقربوا): فيها التحذير من التلاعب بمال اليتيم وإنفاقه في غير وجهه، (لا تقرَبُوا مالَ اليتيمِ بأكلٍ، إسرافًا وبدَارًا أن يَكْبَروا، ولكن اقرَبُوه بالفَعْلةِ التي هي أحسنُ، والخَلَّةِ التي هي أجملُ، وذلك أن تَتَصَرَّفوا فيه له بالتثميرِ والإصلاحِ والحَيْطةِ)(١).

- فيها الحرص على تنمية مال اليتيم، حتى يبلغ أشده ويكون عاقلاً مدركاً، فإذا بلغ أشده زالت عنه الولاية وصار ولي نفسه ودفع إليه مال(٢).

- وعن أبي هريرة- رضى الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: " اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ"(٣).

- فيها إشارة إلى التكافل في المجتمع المسلم، فاليتيم إذا فقد إحدى أبويه أو كلاهما فإنّ حقه محفوظ.

- فيها أنّ بلوغ الإنسان سن الرشد يترتب عليه أحكام وواجبات وحقوق.

فيها أهمية الوفاء بالعهد، قال الزجاج رحمه الله: وكل ما بينَ العِبَادِ من المواثيق فهِيَ عُهُود(٤).

قوله تعالى: (إِنَّ الْعَهْدَ) بالإظهار دون الإضمار للإشعار بكمال العناية بشأن الوفاء بالعهود(٥).

فيها أهمية الحفاظ على مال اليتيم، حيث قرن سبحانه وتعالى النهى عن القرب

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، (١٤/ ٥٩٠).

(٢) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص ١٥٧)، بتصرف يسير.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الوصايا، باب: قول الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)النساء: ١٠، ح ٢٦١٥، (١٠١٧/٣).

(٤) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣/ ٢٣٨).

(٥) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، (٨/ ٣٤٨).

من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن بالأمر بالوفاء بالعهد الله تعالى بالإيمان به والقيام بحق التكليف، والعهد الذي يعاهد الناس عليه في معاهدة أو عقد أو غير ذلك مما يرتبط به أمام الناس موثقا العهد بيمين الله تعالى أو غير موثق(١).

قوله تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥﴾

- فيها أهمية الوفاء بالكيل والميزان وعدم التطفيف، حيث جاء الأمر بذلك؛ لأنّ الناس لايستغنون في معاملاتهم عنها.

- «عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاوضات والبيع والشراء، وقد يكون الإنسان غافلاً لا يهتدي إلى حفظ ماله، فالشارع بالغ في المنع من التطفيف والنقصان، سعيا في إبقاء الأموال على الملاك» (٢).

- فيها التأكيد على وجوب الوفاء بالكيل والميزان، حيث وصفه بالمستقيم دون شيء من التطفيف والنقص(٣).

- (ذلك خير) فيها بيان العاقبة الحسنة لتمام الكيل والإيفاء به، ففي الدنيا ينال صاحبة سمعة طيبة بين الناس فيُقبلون على الشراء منه، وفي الآخرة ينال الثواب العظيم من الله سبحانه وتعالى(٤).

- (إذا كلتم) أي لغيركم، فإن اكتلتم لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم ولم توفوا الكيل (٥).

- التعبير باسم الإشارة للبعيد (ذلك) لتعظيم أهمية الأمر المذكور وحث الناس على الاستجابة له.

(١) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٧٩).
(٢) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٢٠/ ٣٣٨)، بتصرف.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤١٣)، بتصرف.
(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، (٣٣٨/٢٠).
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، (١١/ ٤١٢)، بتصرف.

- على البائع الاجتهاد في كيله وترك التعمد للزيادة أو النقصان فيه؛ فإذا فعل ذلك فقد وفر الكيل وأدى الواجب(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ .

- فيها النهى عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال(٢)، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ﴾ [سورة: ١٢]

- فيها الاقتداء بالنبي ﷺ، فإذا نُهِيَ النَّبِي ﷺ مع حكْمتِه وعِلْمِهِ وتوفيق اللَّهِ إيَّاهُ – أن يقول بما لا يعلم، فكيف سائر أمَّتِه والمسرفين على أنْفُسِهم(٣)!.

- يقال قفوت الشيءَ أقْفُوه قَفْواً إذا اتبَعْتَ أثرَه، فالتأويل لا تُتْبِعَنْ لِسانَك من القول ما ليس لك به علم.

- فيها النهى عن أن يقول الرجل ما لا يعلم، وأن يعمل بما لا يعلم(٤).

- فيها النهي عن تتبع ما لا علم لك به من قول أو فعل، وحاصله يرجع إلى النهي عن الحكم بما لا يكون معلوما ويندرج في ذلك أمور(٥).

- فيها أهمية العلم والتثبت من الأمور والتروي، وذم الجهل.

- في قوله تعالى: (إن السمع والبصر والفؤاد) دليل على أن العلوم مستفادة من الحواس ومن العقول(٦).

- (كان عنه مسؤولاً): فيها إثبات الحساب يوم القيامة والسؤال، وعلى المرء أن يستعد له، يثول الشيخ السعدي رحمه الله: (حري بالعبد الذي يعرف أنه مسؤول عما قاله وفعله وعما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن

(١) تأويلات أهل السنة، الماتريدي، (٧/ ٤٦).
(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥/ ٦٩).
(٣) معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، (٣/ ٢٣٩).
(٤) الكشاف، الزمخشري، (٢/ ٦٦٦).
(٥) روح المعاني، الآلوسي، (٨/ ٧١).
(٦) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، (٧/ ٤٨).

يعد للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى [١].

- فيها أنّ الحساب يوم القيامة يكون فردياً.

- فيها تقديم السمع لأن أكثر ما ينسب الناس أقوالهم إليه. وأخر الفؤاد، لأن منتهى الحواس[٢].

- فيها بيان للطريق السوي الذي يسلكه المؤمن للوصول إلى الحق، وهو ألا يتبع الأوهام، فما ضل الناس إلا باتباع الأوهام، ووراء الأوهام ودأب العقول غير المدركة تكون الأهواء والشهوات وضلال الأفهام، ووراء ضلال الأفهام عبادة الأوثان[٣].

- تُفيد النهي عن الاستماع إلى ما لا يحل، والنظر إلى ما لا يحل لأن هذه الأعضاء مسؤولة عما يستعملها ابن آدم فيه من خير وشر[٤].

- فيها بيان طريق العلم الهادي المرشد، وهي هبات اللّه تعالى التي وهبها للإنسان: السمع والبصر والفؤاد، هذه طرائق؛ فالسمع ينقل العلم الغيبي وينقل العلم الحسي، والفؤاد وهو هنا العقل يربط بين ما سمع وأبصر من آيات، ويكون حكمه القطعي الرشيد[٥].

- تفيد النهي عن تتبع أخبار الآخرين والتدخل وإبداء الرأي فيها دون إذن، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الأسرية في وقتنا الحاضر، حيث أسهم الاستخدام الخاطئ لوسائل التواصل الاجتماعي في عصرنا الحاضر في بث العداوة وقطع العلاقات بين الأسر، من خلال زرع الحقد والحسد والبغضاء في القلوب.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص ١٥٧).

(٢) محاسن التأويل، القاسمي، (٦/ ٤٦١).

(٣) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٨١).

(٤) الهداية الى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، (٦/٤٢٠١).

(٥) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٨/ ٤٣٨٣).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

فبعد هذه السياحة في رحاب سورة الإسراء والتدبر في آياتها التي تحدثت عن أهم الآداب والقيم التي أمرنا الله عز وجل بالامتثال بها، والنواهي التي نهانا عن اجتنابها، **تبيّن لنا الآتي:**

١. هدايات القرآن الكريم تهدف إلى إسعاد البشرية من خلال تقوية العلاقات بين افراد الأسرة وإرساء دعائم الود والاحترام فيما بينها.

٢. المبالغة في بر الوالدين ورعايتهما عند الكبر والإحسان إليهما والدعاء لهما.

٣. أهمية تربية النشء على مكارم الأخلاق وآدابها، حيث ورد لفظ الرب واشتقاقاته ستة مرات في الآيات موضع الدراسة، وجاءت كلمة ربياني مرة واحدة.

٤. التأكيد على حق ذوي القربى وصلتهم، حيث قُدموا في الآية الكريمة على المسكين وابن السبيل .

٥. الأدب الرفيع في رد المحتاج عند عدم القدرة على إعانته، مع الدعاء له والوعد بإعطاءه عند المقدرة.

٦. الاهتمام باليتيم ورعايته، والحفاظ على ماله وتنميته حتى يبلغ أشده ويكون قادرا على الاهتمام به.

٧. اشتملت الآيات على عدد من الأساليب البلاغية البديعة مثل أسلوب الاستعارة التشبيهية لتقريب المعنى في الذهن والعمل بما أمرت به الآية واجتناب ما نهت عنه.

٨. ذم العادات التي كانت منتشرة في الجاهلية والتي تخالف الفطرة السوية مثل قتل الأولاد والزنا، وقتل الفس التي حرّم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم.

٩. جاء ذكر هذه الوصايا والأداب الرفيعة في سورة الإسراء – وهي السورة التي اشتملت على حادثة الإسراء والمعراج– للدلالة على أهمية الأمر المذكور.

أسأل الله العظيم أن أكون قد وفقت في كتابة هذا البحث.

وصلى الله عليى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع:

١. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الثالثة، بيروت، ٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٢. أسرار ترتيب القرآن ، جلال الدين السيوطي، تح: عبدالقادر أحمد عطا ومرزوق علي إبراهيم، ط١، دار الفضيلة، القاهرة، ٢٠٠٢م .

٣. الإكليل في استنباط التنزيل، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٤. أنوار التنزيل و أسرار التأويل، عبد الله بن عمر البيضاوي، د.ط، دار الفكر، بيروت

٥. البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

٦. تأويل مشكل القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية،بيروت.

٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٨. تفسير الراغب، ، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د.عادل بن علي الشدي، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣ م.

٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تح: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.

١٠. التفسير الكبير ، فخرالدين الرازي، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

١١. تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٢. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي- مصر، ط١، ١٩٤٦ م.

١٣. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن بجامعة الشارقة، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

١٤. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١.

١٥. تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور، جلال الدين السيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

١٦. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

١٧. جامع البيان في تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

١٨. الجامع المسند الصحيح المختصر من أُمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري) ، محمد بن إسماعيل البخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، .دار طوق النجاة، الرياض، ١٤٢٢هـ

١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٠. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢١. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

٢٢. الزواج والعلاقات الأسرية، د.سناء الخولي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

٢٣. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، ، تح: أحمد محمد شاكر وآخرين، ط٢، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٥ م.

٢٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، الطبعة: الرابعة، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

٢٥. القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين، محمد الصادق عرجون، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الزمخشري تح: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٧. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة،١٤١٤هـ.

٢٨. محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١ ، بيروت، ١٤١٨هـ..

٢٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى، بيروت، ١٤٢٢ هـ .

٣٠. المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣١. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٣٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عثمان جمعة ضميرية وآخران، دار طيبة– الرياض، الطبعة: الرابعة، ١٩٩٧م.

٣٤. المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.

٣٥. معجم اصطلاحات العلوم الاجتماعية، زكي بدوي، مكتبة لبنان، ١٩٨٢م.

٣٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ .

٣٨. من أسس التربية الإسلامية، عمر الشيباني، دار النهضة العربية، ١٩٨٢م.

٣٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، د.ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٤٠. الهدايات القرآنية دراسة تفصيلية، أ.د طه عابدين وآخران، مكتبة المتنبي – الرياض، الطبعة: الأولى ٢٠١٧م.

٤١. الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب القيسي، تح: مجموعة رسائل جامعية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، ط١، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨ م.